عُمْرَةُ الحُدَيْبِية

تَارِيخُهَا وَأَسْبَابُهَا:

خـرج رسـول الله ﷺ مـن المديـنة يـوم الإثنين غرة ذى القعدة سنة ٦هـ[١] متوجهًا بأصحابه إلى مكة لأداء العمرة.

وسـببها: أن النبـى ﷺ رأى رؤيـا ملخصها: أن النبى ﷺ رأى أنه قد دخل مكة مع أصـحابه المسلمين محرمًا مؤدبًا للعمرة، وقد ساق الهدى معظمًا للبيت مقدسًا له، فبشر النبى ﷺ أصحابه ففرحوا بها فرحًا عظيمًا[٢].

اسْتِنْفَارُ الرَّسُولِ ﷺ لِلنَّاس:

استـنفر رسـول الله ﷺ العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب؛ ليخرجوا معـه، وهـو يخـشى مـن قـريش الذى صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ علـيه كثير من الأعراب[٣]، أما هو فغسل ثيابه وركب ناقته القصواء، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أو نميلة الليثى خرج ومعه زوجته أم سلمة فى ألف وأربعمائة، ويقال: ألف وخمسمائة ولم يخرج بسلاح معه، إلا سلاح المسافر: السيوف في القُرُب[٤].

المسْلِمُونَ يَتَحَرَّكُونَ إِلَى مَكَّة:

وتحـرك في اتجـاه مكـة، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدى، وأشعره وأحرم بالعمرة؛ لـيأمن الـناس مـن حـربه، وبعث بين يديه عينًا له من خزاعة؛ يخبره عن قريش حتى إذا كـان قـريبا مـن عـسفان أتـاه عيـنه، فقـال: إنـى تـركت كعـب بـن لـؤى قـد جمعـوا لك الأحـابيش[٥]، وجمعـوا لك جموعًا، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، واستشار النبي ﷺ أصحابه وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَشِيرُوا عَلَيَّ أَتَرَوْنَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ، فَـإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ، وَإِنْ نَجَوْا تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّهُ، أَوْ تَرَوْنَ أَنْ نَؤُمَّ الْبَيْتَ فَمَنْ صَـدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَلَمْ نَجِئْ نُقَاتِلُ**

---

(١) الرحيق المختوم ص ٢٩٥.
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣٣٥).
(٣) ابن هشام ٢ / ٦٥.
(٤) الرحيق المختوم ٢٩٤ - ٢٩٥.
(٥) هم عرب من بطون بني كنانة وغيرهم.

أَحَدًا، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتَلْنَاهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَرُوحُوا إِذًا، فراحوا»[١].

مُحَاوَلَةُ قُرَيْشٍ صَدَّ المُسْلِمِينَ عَنِ البَيْتِ:

وكانت قريش لما سمعت بخروج النبى ﷺ عقدت مجلسًا استشاريًّا؛ قررت فيه صد المسلمين عن البيت كيفما يمكن، فبعد أن أعرض رسول الله ﷺ عن الأحابيش نقل إليه رجل من بنى كعب أن قريشًا نازلة بذى طُوَى، وأن مائتى فارس فى قيادة خالد بن الوليد مرابطة بكُرَاع الغَمِيم فى الطريق الرئيسى الذى يوصل إلى مكة، وقد حاول خالد صد المسلمين، فقام بفرسانه إزاءهم يتراءى الجيشان، ورأى خالد المسلمين فى صلاة الظهر يركعون ويسجدون، فقال: لقد كانوا على غرة لو كنا حملنا عليهم لأصبنا منهم، ثم قرر أن يميل على المسلمين - وهم فى صلاة العصر- ميلة واحدة؛ ولكن الله أنزل حكم صلاة الخوف، ففاتت الفرصة خالدًا[٢].

تَجَنُّبُ الرَّسُولِ ﷺ لِقَاءَ قُرَيْشٍ:

ولما بلغ رسول الله ﷺ أن قريشًا قد خرجت تعترض طريقه وتنصب كمينًا له ولأصحابه بقيادة خالد بن الوليد؛ وهو لم يقرر المصادمة رأى أن يغير طريق الجيش الإسلامى تفاديًا للصراع مع المشركين، فقال: «**من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها؟**» فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله؛ فسلك بهم طريقًا وعرًا بين شعاب شق على المسلمين السير فيه؛ حتى خرجوا فى أرض سهلة عند منقطع الوادى، وعند ذلك قال رسول الله ﷺ للناس: «**قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه**» فقالوا ذلك.

فقال ﷺ : «**والله إنها الحطة التى عرضت على بنى إسرائيل فلم يقولوها**» فأمر رسول الله ﷺ الناس أن يسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمش فى طريق تخرجه إلى ثنية المرار، فهبط الحديبية من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك الطريق بخفة ودون أن يشعر به أحد، فما نظر خالد إلا وقترة[٣] جيش المسلمين قد ثارت، فعاد مسرعًا هو ومن معه إلى مكة يحذر أهلها ويأمرهم بالاستعداد لهذا الحدث المفاجئ[٤].

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ٤٢٩.

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٩٥.

(٣) قترة: غبار.

(٤) السيرة النبوية للصلابي ٢ / ٣٣٨.

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بثنية المرار بَرَكَتْ بِهَا رَاحِلَتُهُ ، فَقَالَ الناس: حَلْ حَلْ فَأَلَحَّتْ[١] ، فقَال الناس: خَلأَتْ الْقَصْوَاءُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلأَتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَات اللَّه إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ به قَالَ فَعَدَلَ عَنْهَا حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَة عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ[٢] إِنَّمَا يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا[٣] فَلَمْ يَلْبَثْ النَّاسُ أَنْ نَزَحُوهُ فَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ»[٤] .

بُدَيل بن ورقاء يتوسط بين النَّبِيِّ ﷺ وقُرَيْش:

ولما اطمأن رسول الله ﷺ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ من خزاعة ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ لِرَسُول اللَّهِ ﷺ[٥] مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ وَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ مَعَهُمْ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ[٦] وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنْ الْبَيْتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَال أَحَد وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمْ الْحَرْبُ فَأَضَرَّتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلا فَقَدْ جَمُّوا[٧] وَإِنْ هُمْ أَبَوْا وَإِلا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أَوْ لَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ».

فقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا فَقَالَ إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلاً فَإِنْ شِئْتُمْ نَعْرِضُهُ عَلَيْكُمْ فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ لا حَاجَةَ لَنَا فِي أَنْ تُحَدِّثَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ وَقَالَ ذُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ قَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ[٨] .

---

(١) حل حل: تقال زجرا للناقة ، وألحت الناقة وخلأت بمعنى: حَرَنَتْ .

(٢) ثمد: حوض .

(٣) يتبرضه الناس: يأخذون منه قليلاً قليلاً .

(٤) الرحيق المختوم ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٥) عيبة نصح أي: موضع سره .

(٦) العوذ: الإبل ، المطافيل: حديثة الإنتاج .

(٧) جموا: استراحوا .

(٨) الرحيق المختوم ص ٢٩٦ ، سيرة الرسول أبو عمار ٤٣٢ - ٤٣٣ .

رُسُلُ قُرَيْش:

وبعثت قريش سفيرها مِكْرَزَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الأَخْيَفِ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَ: «هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ»، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَحْوٍ مِمَّا كَلَّمَ بِهِ أَصْحَابَهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [1].

قَالَ فَبَعَثُوا إِلَيْهِ الْحِلْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ الْكِنَانِيَّ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الأَحَابِشِ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ[2]. فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ» فَبَعَثُوا الْهَدْيَ فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عَرْضِ الْوَادِي فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ رَجَعَ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ رَأَيْتُ مَا لا يَحِلُّ صَدُّهُ الْهَدْيَ فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحِلِّهِ فَقَالُوا: اجْلِسْ إِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لا عِلْمَ لَكَ.

فغضب الحليس عند ذلك وقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصدّ عن بيت الله من جاء معظمًا له؟! والذي نفس الحليس بيده لتُخَلُّنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مه، كف عنا يا حليس، حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به[3].

فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ: إِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ فَقَالُوا ائْتِهِ فَأَتَاهُ قَالَ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَرَى وُجُوهًا وَأَرَى أَوْبَاشًا مِنَ النَّاسِ خُلُقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْصُصْ بَظْرَ اللاتِ نَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ فَقَالَ مَنْ ذَا قَالُوا أَبُو بَكْرٍ قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لأَجَبْتُكَ وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ وَكُلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ وَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ٤٣٣.

(٢) يتألهون: يتعبدون ويعظمون أمر الإله.

(٣) ابن هشام (٢/ ٦٨ - ٦٩).

ضَرَبَ يَدَهُ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَقَالَ أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ عُرْوَةُ يَدَهُ فَقَالَ: مَنْ هَذَا قَالُوا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَالَ أَيْ غُدَرُ أَوَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الإِسْلامُ فَأَقْبَلُ وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ النَّبِيَّ ﷺ بِعَيْنِه قَالَ فَوَاللَّه مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّه ﷺ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئه وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْه النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِه فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ وَاللَّه لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوك وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّه إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ﷺ وَاللَّه إِنْ يَتَنَخَّمُ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئه وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْه النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا»(١).

سُفَرَاءُ النَّبِيِّ إِلَى قُرَيْشٍ:

ولما لم تنتج سفارات قريش شيئًا يذكر أرسل النبى ﷺ خراش بن أمية الخزاعى إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له: الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله.

فلما فعلت قريش ما فعلت بسفير رسول الله ﷺ إليها حيث عقرت بعيره، وأرادت قتله ولم تقبل منه قولاً ولا رأيًا عاد إلى النبى ﷺ هاربًا بنفسه.

ولما رأى شباب قريش الطائشون الطامحون إلى الحرب؛ رغبة زعمائهم فى الصلح فكروا فى خطة تحول بينهم وبين الصلح، فقرروا أن يخرجوا ليلاً ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثًا تشعل نار الحرب، وفعلاً قد قاموا بتنفيذ هذا القرار، فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلاً، فهبطوا من جبل التنعيم وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين غير أن محمد بن مسلمة قائد الحرس اعتقلهم جميعًا؛ ورغبة في الصلح أطلق سراحهم النبي ﷺ وعفا عنهم وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢٤] (٢).

(١) الرحيق المختوم ٢٩٦ - ٢٩٧.
(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٤٣٦.

ثم دعا رسول الله ﷺ عُمَرَ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ وَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَدِفَ خَلْفَهُ وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ فَقَالُوا لِعُثْمَانَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ فَقَالَ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [(١)].

إِشَاعَةُ مَقْتَلِ عُثْمَانَ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ:

واحتبسته قريش عندها، ولعلهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم فى الوضع الراهن ويبرموا أمرهم ثم يردوا عثمان بجواب ما جاء به من الرسالة، وطال الاحتباس فشاع بين المسلمين أن عثمان قتل، فقال رسول الله ﷺ لما بلغته الإشاعة: **«لا نبرح حتى نناجز القوم»** ثم دعا أصحابه إلى البيعة فثاروا إليه يبايعونه على ألا يفروا، وبايعته جماعة على الموت، وأول من بايعه أبو سنان الأسدى، وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات فى أول الناس ووسطهم وآخرهم، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال: **«هذه عن عثمان»** ولما تمت البيعة جاء عثمان فبايعه، ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له: جَدُّ بن قَيْس.

أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحت شجرة، وكان عمر آخذًا بيده، ومَعْقِل بن يَسَار آخذًا بغصن الشجرة يرفعه عن رسول الله ﷺ، وهذه هي بيعة الرضوان التى أنزل الله فيها: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨] [(٢)].

إِبْرَامُ الصُّلْحِ وَبُنُودُهُ:

وعرفت قريش ضيق الموقف، فأسرعت إلى بعث سُهَيْل بن عمرو لعقد الصلح

---

(١) ابن هشام ٢ / ٧١.

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٩٨.

وأكدت لـه ألا يكون فى الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدًا ، فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه النبى ﷺ قال: «**قد سَهُل لكم أمركم؛ أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل**» فجاء سُهَيل فتكلم طويلاً ، ثم اتفقا على قواعد الصلح وهي:

١- الرسول ﷺ يرجع عامه هذا ، فَلا يدْخُلْ مَكَّةَ وإِذَا كَانَ العَامُ القَابِل دخلها المسلمون ، فأقاموا فيها ثَلاثًا مَعَهم سِلاحُ الرَّاكِبِ ، السُّيُوف فِي الْقُرُبِ ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض .

٢- وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ .

٣- أَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ .

٤- مَنْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَنْ أَتَى قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ .

٥- وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً وَإِنَّهُ لا إِسْلالَ وَلا إِغْلالَ[1] .

وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**» فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو لا أَعْرِفُ هَذَا وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو**» فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أُقَاتِلْكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ ، فأمر عليا أن يكتب: «**محمد بن عبدالله ويمحو لفظ رسول الله، فأبى علي أن يمحو هذا اللفظ فمحاه رسول الله ﷺ بيده ثم تمت كتابة الصحيفة**».

شهد على الصلح من المسلمين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبى وقاص ومحمد بن مسلمة وعلى بن

---

(١) العيبة هنا مثل: والمعنى أن بيننا صدورًا سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بيننا ، وقد يشبه صدر الإنسان الذي هو مستودع سره ، وقوله: لا إسلال ولا إغلال ، فالإسلال السرقة ، والإغلال: الخيانة ، والمعنى العام أن بعضنا يأمن بعضا في نفسه وماله فلا يتعرض لدمه ولا لماله .

أبـي طالـب كاتـب المعاهـدة رضـى الله عـنهم أجمعـين ، ومن المشركين مكرز بن حفص وسـهيل بـن عمـرو ، ولما تم الصلح دخلت خزاعة فى عهد رسول الله ﷺ ، ودخلت بنو بكر فى عهد قريش[1] .

أَبُو جَنْدَلٍ وَثَبَاتُهُ عَلَى الحَقِّ :

وبيـنما الكـتاب يكـتب إذْ جاءَ أَبُو جَنْدَل بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ سُهَيْلٌ هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَـا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ»** قَالَ فَوَاللَّهِ إِذًا لا نُـصَالِحُكَ عَلَـى شَـيْءٍ أَبَدًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **«فَأَجِزْهُ لِي»** قَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزُهُ لَكَ قَالَ بَلَـى فَافْعَـلْ قَـالَ مَا أَنَا بِفَاعِلٍ وقد ضرب سُهَيْلٌ أَبَا جَنْدَل في وجهه وأخذ بتلابيبه وجره لـيرده إلى المشركين وجعل أَبُو جَنْدَل يصرخ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَتَرُدُّونَنِي إِلَـى أَهْلِ الشِّرْكِ فَيَفْتِنُونِي فِي دِينِي قَالَ: فَزَادَ النَّاسُ شَرًّا إِلَى مَا بِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **«يَـا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْـرَجًا إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا فَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَلَيْهِ عَهْدًا وَإِنَّا لَنْ نَغْـدِرَ بِهِمْ»** قَالَ فَوَثَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَعَ أَبِي جَنْدَلٍ فَجَعَلَ يَمْشِي إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَقُـولُ اصْبِرْ أَبَـا جَـنْدَلٍ فَإِنَّمَا هُمْ الْمُشْرِكُونَ وَإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ قَالَ وَيُدْنِي قَائِمَ الـسَّيْفِ مِـنْهُ قَـالَ يَقُـولُ رَجَوْتُ أَنْ يَأْخُذَ السَّيْفَ فَيَضْرِبَ بِهِ أَبَاهُ قَالَ فَضَنَّ الرَّجُلُ بِأَبِيهِ وَنَفَذَتْ الْقَضِيَّةُ[2] .

حُزْنُ المسْلِمِينَ وَمَوْقِفُ عُمَرَ رضى الله عنه :

لقد كان المسلمون يعلوهـم الحزن الشديد لـسببين اثنين:

الأول: أن النبى ﷺ كان قد أخبرهـم أنهم سيطوفون بالبيت .

الثانى: أن النبى ﷺ قبل ضغط قريش فى هذا الصلح .

كانـت هاتـان الظاهـرتان مـثار الـريب والـشكوك والوسـاوس والظنون ، وصارت مـشاعر المـسلمين لأجلـهما جـريحة ؛ بحيث غلـب الهـم والحزن على التفكير في عواقب

---

(١) ابن هشام (٢ / ٧٢ - ٧٣) ، السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣٥٦ - ٣٥٧) ، الرحيق المختوم ٢٩٨ - ٢٩٩ .
(٢) الرحيق المختوم ص ٢٩٩ .

الصلح لعل أعظمهم حزنًا كان عمر بن الخطاب يقول رضى الله عنه: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ: «**بَلَى**» قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ: «**بَلَى**» قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ: «**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي**» قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ قَالَ: «**بَلَى قَالَ أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ**» قُلْتُ: لا قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُتَطَوِّفٌ بِهِ**» قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا قَالَ بَلَى قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ قَالَ بَلَى قُلْتُ فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا قَالَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ وَقَالَ: تَطَوَّفْ بِغَرْزِهِ حَتَّى تَمُوتَ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَلَى الْحَقِّ قُلْتُ: أَوَ لَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لا قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُتَطَوِّفٌ بِهِ قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً - أي أعمالا صالحة كثيرة- ليكفر عن مجادلته للنبي ﷺ (١).

التَّحللُ مِنَ العُمْرةِ ومَشُورةُ أُمِّ سلَمةَ رضي الله عنها:

لَمَّا فَرَغَ رسول الله ﷺ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ لأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**» قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ قَامَ فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ هَدْيَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا.

وقد حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «**يرحم الله المحلقين**»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: «**والمقصرين**» وكان في هدى النبي ﷺ في الحديبية جمل لأبي جهل في رأسه بُرة (٢) من فضة يغيظ ذلك المشركين (٣).

العودة إلى المدينة ونزول سورة الفتح:

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) برة: حلقة .

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣٦٣ - ٣٦٤).

ثم انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية قاصدًا المدينة ؛ حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح ، وقد عبر رسول الله ﷺ عن عظيم فرحته بنزولها وقال: «**أنزلت على الليلة سورة هي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: ١ - ٣] (١) فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر فأقرأه إياه فقال: يا رسول الله ﷺ، أو فتح هو؟ قال: «**نعم، فطابت نفسه ورجع**» (٢) .

مَجِيءُ أَبِي بَصِيرٍ إِلَى المَدِينَةِ وَمَوْقِفُ قُرَيْشٍ مِنْهُ

لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أبو بَصير عُتبة بن أسيد ، وكان ممن حبس بمكة ، فبعثت قريش رجلاً من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله ﷺ فى طلبه فقال رسول الله ﷺ : «**يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله - عز وجل- جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا فانطلق مع إلى قومك**» قال: يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنوني في ديني قال: «**يا أبا بصير انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا**» فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحُليفة جلس مع صاحبيه ، وقال لأحدهم: «**أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر؟ فقال: نعم، قال: أنظر إليه؟ قال: انظر إن شئت فاستلّه أبو بصير، ثم علاه به؛ حتى قتله، وفر الآخر إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعًا، قال: ويحك! ما لك، قال: قتل صاحبكم صاحبى، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوحشًا بالسيف؛ حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله وفت ذمتك وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه أو يعبث بي فقال رسول الله ﷺ : ويل أمه مَحش(٣)حرب لو كان معه رجال**» . ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها الشام ، وبلغ المسلمين الذين احتسبوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبى بصير ، فخرجوا إليه بالعيص فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، وكانوا قد ضيَّقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها ؛ حتى

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٣٦٥) .

(٢) الرحيق المختوم ص ٣٠٢ .

(٣) محش حرب: موقد حرب ومهيجها ، وفي الصحيح: (ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد) .

كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم، فآواهم رسول الله ﷺ فقدموا عليه المدينة[١].

امْتِنَاعُ النَّبِيِّ عَنْ رَدِّ المهَاجِرَاتِ:

صممت مجموعة من النساء المستضعفات فى مكة على الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وفى مقدمة هؤلاء النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط، فقد هاجرت إلى رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية فأراد كفار مكة أن يردوهن فأنزل الله تعالى فى حقهن سورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٠][٢].

فرفض النبى ﷺ طلب المشركين بردهن امتثالاً لأمر الله بالإضافة إلى أن الكلمة التى كتبت فى المعاهدة بصدد هذا البند هى: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته علينا، فلم تدخل النساء فى العقد رأسًا.

وكان النبي ﷺ يمتحنهن بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٢] فمن أقرت بهذه الشروط قال لها: «**قد بايعتك، ثم لم يكن يردهن**».

وطلق المسلمون زوجاتهم الكافرات بهذا الحكم، فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك[٣].

نَتَائِجُ صُلْحِ الحُدَيْبِيَة:

كان لصلح الحديبية العديد من النتائج من أهمها:-

١- اعترفت قريش فى هذه المعاهدة بكيان الدولة المسلمة؛ فالمعاهدة دائمًا لا تكون

---

(١) ابن هشام (٢ / ٧٨ - ٨٠).
(٢) السيرة النبوية للصلابي ٢ / ٣٧١.
(٣) الرحيق المختوم ص ٣٠٠.

إلا بين ندين ، وكان لهذا الاعتراف أثره فى نفوس القبائل المتأثرة بموقف قريش الجحودى ؛ حيث كانوا يرون أنها الإمام والقدوة .

٢- دخلت المهابة فى قلوب المشركين والمنافقين ، وتيقن الكثير منهم بغلبة الإسلام ، وقد تجلت بعض مظاهر ذلك فى مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، كما تجلت في مسارعة الأعراب المجاورين للمدينة إلى الاعتذار عن تخلفهم .

٣- أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام ، وتعريف الناس به مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه ، يقول الإمام الزهرى: مما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضًا ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلّم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تينك السنتين مثلُ من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

وعقب عليه ابن هشام بقوله: والدليل على قول الزهرى أن رسول الله ﷺ خرج إلى المدينة فى ألف وأربعمائة فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك فى بسنتين فى عشرة آلاف .

٤- أمن المسلمون جانب قريش فحولوا ثقلهم على اليهود ، ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى ؛ فكانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية .

٥- مفاوضات الصلح جعلت حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ، ويميلون إليه فهذا الحليس بن علقمة عندما رأى المسلمين يلبون رجع إلى أصحابه قائلاً: لقد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت .

٦- مكن صلح الحديبية النبى ﷺ من تجهيز غزوة مؤتة ، فكانت خطوة جديدة لنقل الدعوة الإسلامية بأسلوب آخر خارج الجزيرة العربية .

٧- ساعد صلح الحديبية النبى ﷺ على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام .

٨- كان صلح الحديبية سببًا ومقدمة لفتح مكة ، يقول ابن القيم: كانت الهدنة مقدمة

بين يدى الفتح ألأعظم الذى أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به فى دين الله أفواجًا؛ فكانت الهدنة بابًا له ومؤذنًا بين يديه، وهذه قضاء الله فى الأمور العظام التى يقضيها قدرًا وشرعًا أن يؤطىء بين يديها بمقدمات وتوطئات تؤذى لها وتدل عليها [١].

العِبَرُ وَالعِظَاتُ وَالدُّرُوسُ المسْتَفَادَةُ:

ينطوى صلح الحديبية على العديد من العبر والعظات والدروس المستفادة نذكر فيها ما يلى:

١- إن أمر هذا الصلح كان مظهرًا لتدبير إلهى محض، تجلى فيه عمل النبوة وأثرها كما لم يتجل فى أى عمل أو تدبير آخر، فقد كان نجاحه سرًا مرتبطًا بمكنون الغيب المطوى فى علم الله وحده، ولذلك انتزع - كما قد رأيت- دهشة المسلمين أكثر مما اعتمد على فكرهم وتدبيرهم، ومن هنا فإنا نعتبر أمر هذا الصلح بمقدماته ومضمونه ونتائجه من الأسس الهامة فى تقويم العقيدة الإسلامية وتثبيتها [٢].

٢- إن من أبلغ دروس صلح الحديبية درس الوفاء بالعهد والتقيد بما يفرضه شرف الكلمة من الوفاء بالالتزامات التى يقطعها المسلم على نفسه، وقد ضرب رسول الله ﷺ بنفسه أعلى مثل فى التاريخ القديم والحديث؛ لاحترام كلمة لم تكتب، واحترام كلمة تكتب كذلك، وفى الجد فى عهوده، وحبه للصراحة والواقعية وبغضه التحايل والالتواء والكيد، وذلك حينما كان يفاوض سهيل بن عمرو فى الحديبية، وجاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو فرده إلى أبيه قائلاً: «**إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهدًا، وإنا لا نغدر بهم**».

كما يتضح ذلك فى موقف أبى بصير حينما جاء من مكة إلى المدينة فقال له النبى ﷺ : «**يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا فانطلق إلى قومك**».

فكان النبى ﷺ يهتم بالعهود والمواثيق ولم يكن عنده مجرد نظرية مكتوبة على الورق،

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨).
(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٢٤٨.

ولكـن كان سلوكًا علميًا فى حياته وفى علاقاته الدولية فقد أوصى الله بالوفاء بالعهود، قال الله جل وعلا: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

وبهـذا يكـون الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامى التى يجب على كل مسلم أن يلتزم بها[١].

٣- ومن الدروس المستفادة من صلح الحديبية احترام المعارضة النزيهة، وقد وضح ذلـك عندما أعلن عمر بن الخطاب عن معارضة لهذه الاتفاقية، وقد استطاع النبى ﷺ بما أعطـاه الله مـن صبر وحكمة وحلم وقوة حجة أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح، وأنه فـى صـلح المـسلمين وأنـه نـصر لهـم، وبهـذا يتـبين أن الرسول ﷺ وضع قاعدة احترام المعارضـة النـزيهة، حـيث قـرر ذلـك بقوله وفعله، وهو والله أعلم إنما أراد بهذا الفعل إرشـاد القـادة مـن بعـده إلى احـترام المعارضـة النزيهة؛ التى تصدر من أتباعهم، وذلك بتشجيع الأتباع على إبداء الآراء السليمة التى تخدم المصلحة العامة، وهذا الهدى النبوى الكـريم بـيَّن أن حـرية الـرأى مكفـولة فـى المجتمع الإسـلامى، وأن للفـرد فـى المجتمع الإسلامى الحرية فى التعبير عن رأيه ولو كان هذا الرأى نقدًا لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره فى جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر[٢].

٤- ومـن الـدروس المـستفادة أيضًا أخذ النبى ﷺ بمشورة أم سلمة رضى الله عنها، وفـى ذلـك دلـيل على استحسان مشورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأى سـديد، كمـا أنـه لا فـرق فـى الإسلام بين أن تأتى المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مـشورة صـائبة، وهـذا عـين التكـريم للمرأة التى يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها وتجاهـل وجـودها، وهـل هـناك اعتراف واحترام لرأى المرأة أكثر من أن تشير على نبى مرسل، ويعمل النبى ﷺ بمشورتها لحل مشكلة اصطدم بها وأغضبته[٣].

* * *

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٨ - ٣٦٩).
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٣٦٢ - ٣٦٣).
(٣) المصدر السابق (٢ / ٣٦٤).